

النشاط التبشيري في قارة أفريقيا

الدكتور

عبد الفتاح عبد العزيز محمد حسين

مدرس الدعوة والأديان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة السلام على إمام الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (ﷺ) نبي الهدي ، وواسع الندي ، وعلى آله وصحابته ، أجمعين .

خيرها هاد إلى الله – تعالي – وأفضل داع ، ناصح الأمة وكاشف الغمة ، وتارك الناس على المحجة البيضاء ، فصلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطيار والمصطفين الأخيار .

أما بعد

إن الحديث عن نشاط المبشرين في الأوساط الإسلامية من الأهمية بمكان ، ذلك لأن خطرهم شديد ، وكيدهم عنيد ، وشيطانهم مريد ، فهم على اختلاف توجهاتم ، وتباين أجناسهم ، وتباعد بلادهم ، يجتمعون على شيء واحد ، هو العمل على محو الإسلام ، وتضييع هوية المسلمين ، وتنصيرهم ، أو جعلهم مسخاً بلادين

إن فريق المبشرين – المنصرين – بتعاون وتنسيق مع المستعمرين لا يألون جهداً في تحقيق غاية كبرى ، هي إزاحة الإسلام ، وتنصير العالم بأسرة لا سيما هؤلاء المسلمين ، لأن قوة الإسلام الذاتية تخيفهم وترهبهم .

والحقيقة أن هذه الهجمة الجبارة – والتي تعمل ضد الإسلام بشراسة – لا تخفي على علماء وعقلاء الأمة ، فكيدهم مفضوح ، ومكرهم معروف ، وسترهم مكشوف . قال تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (١)

وقال سبحانه : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (٢)

---

١ – من الآية (٣٠) من سورة الأنفال .

٢ – الآية (٤٦) من سورة إبراهيم عليه السلام .

أولاً : تعريف التبشير وأهدافه :

تطلق كلمة التبشير " التنصير " ويراد بها الخداع والتضليل .

وأصل كلمة "تبشير" مأخوذة من البشارة ويعني بها البشارة بالخير ، يقال "بَشِرَ" بالخير بشراً فرح به وسُرَّ و- بَشَرَ بالشيء: استبشر به ، و (بَشُرَ) بشارة : حَسُنَ وجمل فهو بشير جمع بُشراءُ ، و (أبشرت) الأرض : أخرجت أول نبتها ، و (أبشر الرجل : فرح وسُرَّ ، ويقال : أَبْشَرَ به ، وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١)

ومن خلال استعمالات اللفظة كما سبق نجد أنها قد استعملت في التبشير بما هو خير ، ولو ظلت الكلمة على ما هي عليه من الدلالات اللغوية ، لكان الأمر خيراً ، ولكن شتان بين ما جرت عليه الكلمة من الدلالات اللغوية في معاني الخير ، والمعنى العرفي الذي تعارف أو اصطلح عليه النصارى .

فالكلمة قد تطورت في معناها عند رجال النصرانية (٢) وقصد بها التبشير بدين النصرانية ، فهي إذن تساوي معنى الخداع والتضليل .

يقول صاحب كتاب أجنحة المكر الثلاثة (التبشير:تعبير أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التى يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية ، لاسيما المسلمون،ثم تحول هدف التبشير داخل الشعوب المسلمة إلي غاية التكفير وإخراج المسلمين عن دينهم ولو إلي الإلحاد والكفر بكل دين) (٣) .

---

١ - المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية د / إبراهيم أنيس وآخرون ج ١ ص (٥٧ ، ٥٨) الطبعة الثانية دار المعارف مصر سنة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م وعجز الآية ٣٠ من سورة فصلت .

٢ - يقال على علماء دين النصارى رجال دين أما عندنا نحن المسلمين فنقول علماء الدين

٣ - أجنحة المكر الثلاثة وخوا فيها التبشير ، الاستشراق - الاستعمار للأستاذ / عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص (٥٠) الطبعة السابعة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، دار القلم دمشق .

إذن المعني العرفي عند المبشرين يقصد به إدخال غير النصارى في النصرانية ، وبالذات تحويل المسلمين وصرفهم عن دينهم ، ومعتقداتهم إلي النصرانية أولاً ، فإن لم يكن إلي النصرانية ، فتكفيرهم وإخراجهم عن دينهم وجعلهم ملاحدة أو مسخا بلا دين ، وهذا هو الهدف والغاية ، صرف كل ما هو نصراني ، وبالذات المسلمين إلي النصرانية ، أو على الأقل إخراجه عن دينه إلي الكفر والإلحاد .

و(المبشرين : هم الذين يجندون أنفسهم للقيام بمهام التبشير سواء أكانوا من العاملين أو العاملات في السلك الكنسي ، أو المتطوعين والمتطوعات من ذوي الاختصاصات الأخرى ، وذلك عن طريق الدعوة إلي النصرانية صراحة أو عن طريق التعليم المنهجي أو التثقيف العام أو الخدمات الصحية أو غيرها ، ودسّ الأفكار التبشيرية فيها) (١) .

فالهجمة التبشيرية إذن واسعة ، لا حدود لها ؟، في استقطاب المسلمين ، أو غيرهم ، ويقوم بها متخصصون وغير متخصصين ، وتذكر صراحة أو ضمنا في خطط ومناهج تعليمية وتثقيفية ، أو في صورة خدمات اجتماعية أو صحية ، والهدف هو إخراج المسلمين عن دينهم ، وتحويلهم إلي النصرانية أو أن يكونوا بلا دين كما سبق .

وثمة أهداف أخرى عديدة يلخصها أحد المفكرين قائلاً : يمكن تصوير أهداف التبشير في مطلبين كبيرين تندرج تحت كل منهما جزيئات عديدة :

المطلب الأول : تشكيك المسلمين في عقيدتهم ودينهم ، وتنفير غير المسلمين من الإسلام .

المطلب الثاني : الدفاع اللاهث الأنفاس عن "النصرانية" وتكثيف الحجب حولها حتى لا تتكشف "عوراتها" أمام الأنظار فيزهد فيها من آمن ، ويزول آخر رمق تتمسك به الكنيسة ، بعد الضربات القاضية التي منيت بها إبان حركة

١ - المصدر السابق ص (٥٠) .

الإصلاح الديني في أوربا – من بداية القرن الخامس عشر الميلادي على يد مارتن لوثر ورفاقه ، ثم ما منيت به في عصر التنوير (النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي) وكانت نهاية البداية لنهاية أخرى على أيدي الثوار الفرنسيين الذين كان شعارهم "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس" (١) .

فمآرب التبشير إذن ليست بالمآرب النزيهة التي كنا نريد منها استعمال الكلمة فيما هو خير ونافع لكل البشرية ، وإنما هي أهداف دنيئة تسعى إليها من خلال روح عدائية باسم الدين .

وتسلط رجال الكنيسة أثناء حركة الإصلاح الديني بداية من القرن الخامس عشر ، وعصر التنوير في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، لهما خير شاهد ودليل على ذلك .

وبناءً على هذا فإن التبشير يعمل من خلال محورين لا ثالث لهما : محور هجومي قوامه الطعن في الإسلام ، كتاباً ورسولاً وتاريخاً وسيرة ، وقيماً ومبادئ

ومحور دفاعي : لحمته وسداه حيل بلهاء وألا عيب صبيانية يحاولون من خلالها أن يطلوا السواد بالبياض ، ويلبسوا الباطل ثوب الحق مهما كلفهم هذا من إهدار قيمة النقل والعقل وحقائق الواقع المؤيد بكل دليل له وزن وتقدير) (٢) .

ثانياً : هل ظلت المسيحية على صفائها ؟ أو بمعنى آخر ، هل يمكن للكنيسة أن تقود العالم ؟ وبالتالي تقود أفريقيا ؟ هذه البقعة الكبيرة من العالم ؟

إن الأغراض التبشيرية بالنسبة للعالم جدُّ واسعة ولا حدود لها فالكنيسة تريد أن تسيطر على كل مكان في العالم باسم الدين تارة وباسم العلم والخدمات تارة أخرى ، فهل ظلت المسيحية على صفائها ونقائها حتى يتسنى لها ذلك ؟

---

١ – التبشير العالمي ضد الإسلام أ.د / عبد العظيم المطعني ص (٤) الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، مكتبة النور

٢ – المصدر السابق ص (٤) .

إن القارئ لتاريخ الكنيسة النصرانية يجد أنها على العكس من ذلك ، فالقس في العصور المظلمة قد تدخلوا في كل شيء باسم الدين ، والتسلط الكنسي قد بلغ مداه ، وحاربت الكنيسة العلم ، وجعلت تتخذ من الطقوس الدينية والأوامر والنواهي ، ما لم تأت به المسيحية الصحيحة من قبل ، فضلاً عن الظروف القاسية التي مرت بالمسيحيين ، من عوامل اضطهاد ، وأهواء رجال الدين ووجود فلسفات أثرت في الديانة المسيحية "النصرانية" تأثيراً بالغا .

يقول الدكتور / بركات دوايدار : لم تكن المسيحية أسعد حالاً من اليهودية ، فقد كانت الظروف التي مرت بالنصارى أسوأ ظروف مرت بأمة ، واجتمعت عليهم عوامل أفسدت عليهم دينهم وبدلته من دين سماوي يعتمد في أصوله وأحكامه على الوحي – إلى دين وضعي أرضي نبت وغذي من أفكار بشرية وثنية ، أي أنه بدل أن يرتفع بالبشر ويأخذ بيدهم إلى السماء ، نزل هو إلى البشر يأخذ منهم ، وبعد أن كان البشر وثنيين باسم الوثنية ، أصبحوا وثنيين باسم المسيحية ، وأهم العوامل التي انحرفت بهذا الدين هي :

أولاً : الاضطهادات التي نزلت بالمسيحيين ، فأدت إلى ضياع الإنجيل الصحيح .

ثانياً : الوثنيات والفلسفات التي كانت تملأ العالم في ذلك الوقت ....

ثالثاً : أهواء رجال الدين الذين كانوا دائماً يعطون على حساب الدين ليأخذوهم دنيا) (١) .

فهل بعد ذلك يمكن أن يقال إن الكنيسة باسم المسيحية تصلح لقيادة العالم ؟ أو أن النصرانية ديانة صحيحة صالحة ، وداعية لاعتناق العالم لها ، وأن أعمال المبشرين – المنصرين – نزيهة وخالية من الأهداف التي سبق ذكرها ؟

---

١ – الحركة الفكرية ضد الإسلام أ.د / بركات عبد الفتاح دويدار ص (٢١٠) الطبعة الرابعة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م ، دار التراث العربي بالقاهرة .

إن اضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء (كان في عصر انفجر فيه بركان العقلية في أوربا ، وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الديني فزيفوا هذه النظريات الجغرافية التي اشتملت عليها هذه الكتب ، وانتقدوها في صراحة وصرامة ، واعتذروا عن عدم اعتقادها والإيمان بها بالغيب ، وأعلنوا اكتشافاتهم العلمية واختباراتهم فقامت قيامة الكنيسة ، وقام رجالها المتصرون بزمام الأمور في أوربا وكفروهم واستحلوا دمائهم ، وأموالهم في سبيل الدين المسيحي ، وأنشأوا محاكم التفتيش التي تعاقبت – كما يقول البابا – أولئك الملحدين ، والزنادقة الذين هم منتشرون في المدن وفي البيوت والأسراب ، والغابات والمغارات والحقول ، فجدت واجتهدت وسهرت على عملها ، واجتهدت أن لا تدع في العالم النصراني عرقاً نابضاً ضد الكنيسة ، وانبثت عيونها في طول البلاد وعرضها ، وأحصت على الناس الأنفاس ، وناقشت عليهم الخواطر حتى يقول عالم نصراني " لا يمكن لرجل أن يكون مسيحياً ويموت حتف أنفه " .

ويقدر أن من عاقبتهم هذه المحاكم يبلغ عددهم ثلمائة ألف ، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً أحياء ، كان منهم العالم الطبيعي "برنو" والعالم الشهير "غاليليو" لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس) (١) .

إن من القواعد المسلم بها أن الدين يحث على العلم ويدعوا إليه ما دام ذلك لا يعارض الدين لكن رجال الكنيسة انقضوا على العلماء ، فعملوا على إبادتهم حتى لا ينافسوهم فيما وضعوه على رقاب الناس من تعاليم كنيسية من عندهم باسم الدين (إن كل ما أصاب المسيحية من تشويه يقع وزره على رجال الدين المسيحي ، لقد كان بإمكانهم أن يرفضوا الدخيل ، ولكن للأسف هم الذين قرروه ، يقول القس " بولس الياس اليسوعي " إنه في مفتتح القرن السابع الميلادي كتب البابا " غريغورس " الأول الكبير إلى القديس " أوغسطينوس " أسقف (كنتربري) ببريطانيا يقول :

---

١ – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للأستاذ / أبو الحسن الندوي ص (٢٤٩ ، ٢٥٠) بتصرف يسير طبعة مكتبة السنة ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

(دع البريطانيين وعاداتهم ، وأبق لهم أعيادهم الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد ، واضعا إله المسيحيين موضع آلهة الوثنيين) (١) .

إن التعاليم المسيحية في ظل الظروف التي مر بها رجال الدين ، وتغييرهم وتبديلهم لهذه التعاليم ، لا تصلح أبداً ، لأنها بشرية ، وليست بشرية عادية ، بل هي بشرية وثنية مشوهة مشوبة بفلسفات ووثنيات ، فضلاً عن الأهواء والأمزجة التي كانت لدي رجال الدين من فرضهم تعاليم من عند أنفسهم ، وذلك يدعونا إلي القول بأن أعمال المبشرين الآن باسم الدين أو العلم أو الخدمات الأخرى ، في شتي صورها ، لا تصلح أبداً ، فما هي إلا صورة مكررة لما سبق ، واتخذه رجال الدين المسيحي ضد الإنسانية وضد العلم .

ثالثاً: نصيب قارة أفريقيا من المخطط التبشيري :

أريد للقارة الأفريقية – أو هم يريدون لها ذلك – أن تكون على جانب كبير من الجهل والفقر والتخلف والمرض ، وهذه الأربعة من شأنها أن تهون العقيدة في نفوس أصحابها ، بل إنها تصرف ضعاف الإيمان عن دينهم ، وهذا ما يحدث تماماً في أفريقيا بالذات ، ثم إن نشوب الحروب بين دولها ، وتقسيم الدول إلي دويلات ، وانشقاق البعض على الآخر يعد ضعفاً بالغاً في كيان أهل هذه القارة السوداء– كما يقولون أو كما يطلقون عليها .

بل إن المحرك الأول لنشوب هذه الحروب هي الدول الاستعمارية الكبرى التي تقوم بإعداد وتمويل المبشرين ، والتي ترمي من وراء مخططاتها تحويل هذه الدول إلي النصرانية .

يقول فضيلة الشيخ / محمد الغزالي : والخطة الموضوعة لخمسين دولة في أفريقية أن يتقرض الإسلام بتؤدة ودهاء ، وأن يعلن فجاءة أن القارة القديمة

---

١ – الله واحد أم ثالوث نقلاً عن الحركة الفكرية ضد الإسلام ص (٢١٦٥) .

قد ارتدت كلها عن الإسلام ، ونجح الاستعمار في تنصيرها ... فتهب على أفريقية السوداء رياح فتنة عاتية ، تبغي زحزحتها عن عقائدها ودحرجة الإسلام عن منزلته الأولى ، إلي الثانية ، أو ما وراء ذلك حتى يتلاشى ومعروف أن التبشير العالمي وقت نهاية هذا القرن لبلوغ غايته ، وأن جيشه الهاجم استطاع التغلغل في أقطار بيضاء ، بعدما اجتاح الجنوب والوسط ، والمعروف أنه لا توجد تقريباً قوي مدافعة ، فليست للأزهر بعثات تقاوم ، وكذلك رابطة العالم الإسلامي والأهالي متروكون لأنفسهم ، وكانت هناك جمعية للدعوة إلي الإسلام تعمل في جنوب السودان ، توقفت عن وظيفتها في أثناء حرب الخليج ، وعلى جماهير المسلمين المعزولين أن يعتمدوا على فطرتهم السليمة ، وقواهم الكليلة في مدافعة العدو الزاحف .

ويواصل فضيلته الكتابة فيقول : وقرأنا أخيراً أن عدد المشتغلين بالتنصير بلغ (١٠٤٠٠٠) موظف ، وأن المعاهد التابعة للكنائس بلغت (٢٠٠٠٠) والجماعات الخاضعة لها (٥٠٠) ومدارس اللاهوت التي تخرج المنصرين الأفارقة (٤٩٠) والمدارس ورياض الأطفال التي تشرف عليها الكنائس (١٠٦٧٧) .

كما بينت إحصاءات منظمة الدعوة الإسلامية أن المستشفيات التي تملكها الكنيسة (١٠٦٠٠) ودور إيواء العجزة والأرامل والأيتام (٦٨٠) والطلاب المسلمون الذين يدرسون في مدارس الكنيسة ستة ملايين ، وعدد الصيدليات التي تملكها (١٠٠٥٠) والمحطات الإذاعية أربع عشرة .

هذا وصف موجز للجيش الذي يعمل الآن لنحت الإسلام ، وتعرية أصوله وفروعه ، وفض مجامعه ، واقتلاع أسسه ، وعلى من يقاوم هذا الجيش ألا

ينتظر عونا من أحد ، فلدي الأمة الكبيرة من الأزمات والآلام ما يشغلها عن نصرة مستضعف أو مواساة محروم) [1] .

ولنا أن نتصور هذا الكم الكبير الذي يعمل ضد الإسلام والمسلمين في هذه القارة من قارات العالم ، إنه اتجاه محموم تحركه قوي استعمارية تخفي أهدافها وجرائرها وراء ستار المبشرين الذين لا يألون جهدا ، ولا يدخرون وسعاً في تنصر المسلمين ، أو زعزعة العقيدة في قلوبهم .

هذا الرقم من المشتغلين بالتنصير وهذه المعاهد التابعة للكنائس ، ومدارس اللاهوت التي تخرج للأفارقة منصرين من نوع خاص ، وهذا الكم من المدارس ورياض الأطفال التي تشرف عليها الكنائس ، وهذه المستشفيات والصيدليات ، ودور إيواء العجزة ، وستة ملايين من الطلاب المسلمين الذين يدرسون في مدارس الكنيسة ، كل ذلك الإنفاق الذي يبذل وبهذه الصورة ، لم يكن لشيء إلا لاقتلاع المسلمين من جذورهم ، وهدمهم ماديا ومعنوياً .

ولنا أيضاً أن نتصور النتائج المترتبة على عمل هذا الكم الضخم ، إنها نتائج مروعة ، تعني في المقام الأول (فصل المسلم عن دينه بطرق شتى ، وجعله يستقبل الحياة الحديثة فارغ القلب من عقيدة عاري السلوك من عبادة وخلق ، شاعرا بوحشة البعد عن الله ووصاياه ، وبذلك يتحول إلي هدف سهل للمنصرين ، إنهم والحالة هذه لم يصطادوا مسلما ، بل استولوا على امرئ شريد لا قلب له ولا مأوى ، وتكوين هذا الشخص هدف أوربة وأمريكة ، وتساعدهما على تحقيقه الحكومات العلمانية ، التي تزعم التسوية بين الأديان ، وهي تركب الصعب والذلول لتوهين الإسلام وآدابه وشرائعه وقيمة ، ففي نظر هذه

---

١ – صحية تحذير من دعاة التنصير لفضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الغزالي ص (١٣٦ ، ١٣٧) بتصرف يسير الطبعة الأولي (١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م) دار القلم دمشق ، الدار الشامية ببيروت .

الحكومات الإسلام وحده هو الذي لا يجوز الانتماء إليه ، ولا الولاء له ، ولا الحنين إلى استعادة مظاهره في المجتمع والدولة) (١) .

إنه العداء للإسلام وفقط ، إنه الخوف من سلطانه ، إنه العمل على عدم انتشاره واتساعه ، إنها تغطية وتعتيم على التعاليم الكنيسة حتى لا يرتد نصراني عن دينه .

رابعاً : نظره على تاريخ التبشير في أفريقية وأهدافه فيها :

منذ أن دخل الإسلام هذه القارة ، واتسعت رقعته ، والنصارى يتلمظون غيظاً لأن ينالوا من الإسلام فيها ، ويريدون من أهلها أن يكونوا لهم تبعاً ، فلذلك جندوا فريقاً من المبشرين ، قوامه هذه الأعداد الضخمة ، وهذه الإمكانات الهائلة التي سقنا طرفا منها في النقطة السابقة- نصيب قارة أفريقيا من مخطط التبشير .

وتتابع الحملات التبشيرية الصليبية على اختلاف بلادها وبعد حدودها ، وتباين مذاهبها من كوثوليك أو أرثوذكس أو بروتستانت – على هذه القارة يدل دلالة أكيدة على أن مآرب المنصرين في هذه البلاد منذ أن دخلوها مآرب دينية استعمارية بالدرجة الأولى .

يقول المستر – بلس – إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقية ، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا ، لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان ولا من وثنيتهم ، ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية ، وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للاتجار بالرقيق – لأن هذه التجارة صارت صعبة – بل إن هذا الخصم هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في أفريقية أكثر مما هو كذلك في فارس ؛ فالشيخ والدرويش يجوبان شواطئ البحر الأحمر والنيجر ، والمغرب ، وواداي ، ويثبان في الأهالي أن المهدي ينتظر ظهوره وسينشر الإسلام في كل الأقطار ... ، أما الشيخ السنوسي العدو الأكبر للنفوذ الفرنسي والإنكليزي فله تقاليد أخرى .

١ – فضيلة الشيخ محمد الغزالي : صيحة تحذير من دعاة التنصير ص (١٢٦) .

ويقول : إن طلبة الأزهر يعتقدون بالمهدي ، وأما المغاربة فلا يزال يدور في خلدهم إمكان الجهاد ، وهو يري أن الملحمة الكبرى بين أوربا والإسلام ستنشب في غرب أفريقيا أو شماليها ، ولا ينبغي أن نستدل على حقيقة هذه الملحمة المنتظرة بالقتال الذي حدث في السودان (١) .

فهو – أي بلس كفيره يري أن الإسلام هو العقبة الكئود التي تحول دون تقدم التبشير في أفريقيا ، والمسلم في نظره هو العدو الألد لفريق المبشرين ، لأن الإنجيل لا يجد من يعارضه إلا المسلمين فغير المسلم إما جاهل ، وإما وثني وكلاهما لا يعارض الإنجيل أما المسلم فقط هو الذي يعارض نشاط المبشرين .

ويزيد الأمر وضوحاً فيقول (دخل المبشرون الكاثوليك ربوع أفريقية منذ القرن الخامس عشر أثناء الاكتشافات البرتغالية ، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد إرساليات التبشير البروتستانتية والإنكليزية والألمانية وكذلك إرساليات التبشير الفرنسية .

ولم تهتم جمعية الكنيسة البروتستانتية بالتبشير في أفريقية الغربية إلا منذ ١٨٠٤ م حيث تعاونت إرساليتها وانكفأت على الكنغو ، وهذه الجمعية تقاتل الآن بمؤازرة الأسقف "صموئيل كروتز" الزنجي – تقاتل سلطة الإسلام المتدفق في النيجر الغربية وفي سنة ١٨١٩ م اتفقت هذه الجمعية مع الأقباط ، وألفت في مصر إرسالية عهدت إليها نشر الإنجيل في أفريقية الشرقية ، وقررت إرسال مبشرين إلي الحبشة ، ولكنها فشلت على أثر المنافسة بين اليسوعيين والبروتستانت ، ثم أخذ المبشرون السويديون والإنكليز يرتادون غرب أفريقية ، وتبعهم مبشروا المدرسة الجامعة ، فهبطوا مدينة "ممباسة" ثم عززت ألمانيا إرسالياتها عقب اتساع مستعمراتها ، لكن سرعان ما ظهرت المنازعات بين الكاثوليك والبروتستانت وكان أهم ذلك في " أوغندة " بين مبشريها الوطنيين

١ – الغارة على العالم الإسلامي ل (آل شاتليه ص (١٥) باختصارة لحضها ونقلها إلي العربية الأستاذان : محب الدين الخطيب ومساعد الياقي الطبعة الرابعة المكتبة السلطانية بالقاهرة .

والرهبان البيض الذين ألف إرسالياتهم الكاردينال لافيجري – وبعد ذلك (توافد المبشرون على أفريقية الوسطي عقب بعثة لفنستون – واستانلي – ١٨٧٨ م فاقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين ألماني واسكتلندي وإنجليزي وموراقي ، وهؤلاء انتشرت إرسالياتهم دون انقطاع عن شرق أفريقية إلي أواسطها في الخرطوم والحبشة ... وجاءت هذه الإرساليات بنتائج حسنه) (١) .

فالحركات التبشيرية على بلاد أفريقيا قديمة منذ الاكتشافات البرتغالية لهذه القارة وحتى دخول الكاثوليك لأول مرة في ربوع هذه القارة ، ثم تتابعت إرساليات التبشير البروتستانتي من إنجليزية وألمانية وفرنسية .

ثم ظهر نشاط المبشرين بصورة أكبر بعد ١٨٠٤ م حيث اهتمت جمعية الكنيسة البروتستانتية بالتبشير في أفريقيا الغربية حيث تعاونت إرسالياتها على الكنغو والنيجر بتعاون الأسقف الأفريقي الزنجي – صموئيل كروثر – الذي مهد للوجود البروتستانتي في هذه البلاد .

وجمعية الكنيسة البروتستانتية هذه كان لها نشاط ملحوظ في مصر أيضا في سنة ١٨١٩ م حيث أنفقت مع الأقباط في مصر وألفت في مصر إرسالية عهدت إليها بنشر الإنجيل في أفريقيا الشرقية ، وقررت إرسال مبشرين منها إلي الحبشة ، وإن كان قد فشلت بسبب المنافسة بين اليسوعيين والبروتستانت .

(وأما بلاد المغرب فلها مبشرون مختصون بها ترسلهم جمعية شمال أفريقية وهم منتشرون في المغرب والجزائر وتونس وسائر بلاد المغرب ومنهم المبشرون الأطباء التابعون لهم ، ولقد شاع أن ذوي الأمر في فرنسا وإيطاليا حانقون على رجال التبشير إلا أن حاكم الجزائر طمأن بال الأسقف – هارتزل – في الأيام الأخيرة وصرح له بأنه ينظر إلي أعمال المبشرين ببعض

---

١ – المصدر السابق ص (١٥ ، ١٦) ، وكتاب المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية ج ٢ ص (٢٤٧) ، وما بعدها مقال الدكتور / محمد إبراهيم أبو عجل .

الاستحسان)(١) فإرساليات التبشير وحملاته على أفريقيا ما تركت بلداً إلا وضعته نصب أعينها . ونجد أن حملات التبشير على هذه القارة متنوعة ما بين فرنسية وإنجليزية وألمانية وإيطالية وغيرها ، وأيضاً هي حملات مختلفة المذاهب بين بروتستانتية وكاثوليكية وغيرها ، ولقد كانت المنافسة والسباق بينهم محموما متدفقا للغاية على أهل هذه البلاد ، الأمر الذي يجعلنا نقول إن النشاط التبشيري ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا قصدها وجعل منها مأربا خاصاً به ، وهدفا يسعى إليه .

إن توافد الحملات التنصرية على أفريقية بشكل عام غربها وشرقها وشمالها وجنوبها ووسطها منذ فترة ليست بالقصيرة ، وحتى الآن ، بل الآن يتوافد المنصرون – بضراوة شديدة عن ذي قبل – مما يدل على أن الكيد للإسلام ، وتقسيم هذه القارة إلي دويلات متناحرة – من هؤلاء هو الهدف الأكبر للمستشرقين ، وبتعاون وتنسيق مع المستعمرين .

خامساً : العداء للإسلام قديم :

والعداء للإسلام قديم مستحكم (فالدول الأوربية الموجودة اليوم ما هي إلا امتداد للدولة الرومانية ومن قبلها الدولة اليونانية ، وقد ورثت أوربا الحديثة عن اليونان والرومان عقيدة احتقار الغير ، وأنه يجب أن يطبق عليهم من القوانين ما لا يطبق على الأوربي ، وكانت هذه عقيدة عامة في اليونانيين ، ولا يختص بها واحد دون واحد ، بل نجدها سيطرت على كبار المفكرين فحرمتهم أن ينظروا إلى البشر نظرة المساواة ، فأفلاطون يقصر العدالة على اليونانيين ولا يجعلها تتعداهم إلى غيرهم من بني البشر ويذهب إلي التفرقة بين اليونانيين وغيرهم ، وينصح للمدن اليونانية أن تتعهد فيما بينها العلائق الودية ، بل أن تتحالف ، وتؤلف أسرة واحدة . فإن تحاربت فلا تدمر ولا تحرق ولا يسحق الغالب جميع أهل المدينة المغلوبة كأنهم أعداء ، بل يضرب الأقلية التي أثارت الخصام ، ويعامل الباقي معاملة الأصدقاء ويقصر التدمير ، والتحريق ، والسحق على

---

١ – الغارة على العالم الإسلامي ص (١٦) .

محاربة الأعاجم ، ثم يصرح بأن اليونان "لا يسترق بعضهم بعضا ، وإنما يسترقون الأعاجم ، لأن الرجل العادل لا يسرق قريبه وصديقه ، بل يسترق عدوه) (١) .

وهذه العنصرية القديمة التي نادي بها أفلاطون كانت – وبلا شك لها تأثير كبير على الإسلام من دول أوربا – الوريثة لحضارات اليونان والرومان ، فهي تزاحم الإسلام أينما وجد وحيثما حل .

يقول أحد المفكرين معلقاً على هذا الكره وذلك العداء المستحكم من أفلاطون (هنا نجد أفلاطون عنصريا بكل ما في الكلمة من معني رأفة ورحمة مع بني جنسه ، ومع الغير الحرق والتدمير والسحق ، هل أفلاطون عنصريا في وسط شعب لا يعرف العنصرية ؟

لا يمكن أن يكون هذا بل ورث العنصرية ورضعها من لبن أمه ، فلم يستطع أن يتخلص منها ، وبدل أن يلطفها جعلها شرعاً يجب أن يطاع ، ومن ثم كان لعنصريته تأثير على أحكامه على الشعوب إذا ما تعرض للمقارنة بين شعبه وشعب آخر ، فنجده مثلاً عند المقارنة بين الأثنيين والمصريين يصف الأثينيين بأنهم محبون للمعرفة والمصريين بأنهم محبوب للثروة ، ويرد عليه المؤرخ = ول ديورانت في هذه النقطة بقوله (ولعل في هذا الوصف كثيراً من المغالاة دفعته إليها النعرة الوطنية ....

هذه هي نظرة الأوربي القديم لنفسه ، وكل ما جاء بعد ذلك كان يعمق هذه النظرة ويزيد في الفوارق بين أوربا والإسلام ، فلقد أنضم إلي العامل العنصري العامل الديني ، فأوربا المسيحية التي كانت تنظر إلي الشرق هذه النظرة ، وحدت نفسها أمام الإسلام وجها لوجه ، وقد تعودت أوربا أنها تنتصر في معظم

---

١ – جمهورية أفلاطون ، نقلاً عن تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص (١٠٨) طبعة دار القلم ببيروت بدون تاريخ ، جمهورية افلاطون نقلها إلي العربية حنا خباز طبعة دار التراث ببيروت سنة ١٩٦٩ م ، ١٩٣٨ ن .

الحالات ، وحرب الاسكندر لا زالت عنوانا على تفوق أوربا ، فلما جاء الإسلام تغيرت هذه النظرة ، وأصبحت أوربا ترى نفسها مهددة ومهزومة أمام الإسلام ، وكانت الحروب الصليبية كنتيجة لأحقاد استمرت أزماناً طويلة ، ووجدت أوربا نفسها موحدة ضد العالم الإسلامي ، ويمكننا أن نقول – من غير أن نوغل في المبالغة – إن أوربا ولدت من روح الحروب الصليبية) (١) .

وإذا كانت أوربا المسيحية تنظر إلي المسلمين في شتي بقاع الأرض هذه النظرة ، فإن مبشريها بلا شك في أفريقيا بالذات – وفي غيرها – لا يتعلمون من أجل خدمة الإنسانية كما يزعمون ، وإنما يعملون من أجل أهداف دينية واستعمارية كما سبق وأشرت إليه ، وإن العداء الذي يضمره فريق المبشرين مأخوذ عن العنصرية التى أذاعها وبثها أفلاطون من قبل .

سادساً : أوربا تبدأ مدنيتها بعدائها للإسلام .

إن المدنية الزائفة التى تدعيها أوربا وغيرها من الدول الكبرى ، لم تقم على أنقاض أو أسس سليمة ، وإنما قامت على أنقاض المدنية التى دعا إليها أفلاطون وغيره من الفلاسفة والمتمثلة في العنصرية التى سبقت الإشارة إليها .

وهذه المدنية بدأت بعداوة شديدة للإسلام فأثناء الحروب الصليبية ولدت فكرة المدنية الغربية ، وأصبحت هدفاً واحداً تسعي إليه جميع الشعوب الأوربية على السواء وكانت تلك المدنية الغربية عداوة للإسلام.ووقفت عرابا في هذه الولادة الجديدة) (٢) .

ويقول الأمير شكيب أرسلان : هنا نجد أوربا بدأت مدنيتها بعداوة الإسلام ، وأخذت تفكر من يومها لا في الانتصار على الإسلام في معركة حربية ، بل

---

١ – الحركة الفكرية ضد الإسلام مرجع سابق ص (٢٨ ، ٢٩) بتصرف يسير .

٢ – الإسلام على مفترق الطرق للأستاذ / محمد أسد والدكتور / عمر فورخ ص (٥٦) ط دار العلم للملايين سنة ١٩٨٠ م ، وكلمة عرابا تعبير كنسي يقصد به الطفل المعمد .

في القضاء عليه نهائياً ، فنجد مثلاً غليوم دادان يؤلف كتاباً في أربع سنوات بين سنة ١٣١٠ م – ١٣١٤ م يسميه كيفية استئصال المسلمين ، ثم يستمر ذلك العداء حتى اليوم ، فنري العداوة مستمرة ، ومحاولة القضاء على الإسلام لا تنهي ولا تتوقف فالمفكر : ستودارد في تعليقة على حرب أوربا لتركيا يقول : وهذا الذي نتلوا أنباءه في صحف الأخبار اليوم من النضال القائم بين مصطفي كمال ومقاتلة الوطنية ، وبين اليونان في آسيا الصغري ، إنما هو حلقة من سلسلة حروب بين الإسلام والنصرانية ، حلقتها الأولي كانت في فلسطين بين الترك والصليبيين منذ ثمانمائة سنة وحلقتها الأخيرة إلي اليوم) (١)

إن أوربا المسيحية باسم المدنية الزائفة بدأت عدائها للإسلام ، وما تزال حتى الآن تعمل ليل نهار على بث مبشريها في أفريقيا وغيرها لتنال من الإسلام ، وتقضي على المسلمين ، سعيا وراء أهداف استعمارية لاجتلاب خيرات هذه البلاد ، الأمر الذي يجب أن تلتفت إليه وتتكاتف من أجله الدول الإسلامية في وجه هذا الزحف الصليبي الذي يلبس عباءة جديدة ، وما هو عنا بخاف .

وقد يتفائل البعض فيري أن هناك فرصة للتقارب (*) بين المسلمين وأهل هذا العداء ، وأصحاب هذه المدنية ، لكن الأمر في الحقيقة صعب للغاية إن لم يكن مستحيلاً ، وخصوصاً في ظل هذه الهجمة الشرسة من المتنصرين ، فالعنصرية التي ورثتها المسيحية عن العنصرية اليونانية والرومانية – كما سبقت الإشارة إليه ، تجعل من التقارب المزعوم أمراً مستحيلاً ، فضلاً عن أنه لا توجد رابطة أو تجانساً من أي نوع يمكن من خلاله أن يعمل الغرب على التقارب والالتقاء بالمسلمين .

---

١ – حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان ج ١ ص (٢٢١) بتصرف نقله إلي العربية الأستاذ / عجاج نويهض الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٣ م – ١٣٩٤ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

*– وما حوار الحضارات ، والحوار بين الإديان عنا ببعيد .

يقول الأستاذ محمد أسد – وهو مفكر أوربي مسلم – (هنالك بالإضافة إلى فقدان التجانس الروحي ، سبب آخر يحمل المسلمين على ألا يقلدوا المدنية الغربية إنه التجارب التاريخية التى اصطبغت صباغا شديداً بعداوة غربية للإسلام ، وهذا أيضاً إلى حد ما إرث أوربة من اليونان والرمان ، إن اليونانيين والرومانيين نظروا إلى أنفسهم على أنهم وحدهم المتمدينون ، أما كل من كان أجنبيا عنهم ، وعلى الأخص أولئك الذين كانوا يعيشون شرق البحر المتوسط ، فقد كان اليونانيون والرومانيون يطلقون عليهم لفظ "البرابرة" ومنذ ذلك الحين والأوربيون يعتقدون أن تفوقهم العنصري على سائر البشر أمر واقع ، ثم إن احتقارهم إلى حد بعيد أو قريب لكل ما ليس أوربياً قد أصبح أحد الميزات البارزة في المدنية الغربية على أن هذا وحده لا يكفي لإظهار ما يكنه الأوربيون نحو الإسلام خاصة ، وهنا لا تجد موقف الأوربي موقف كره في غير مبالاة فحسب بل هو كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صدود من التعصب الشديد ، وهو أيضاً ليس كرها عقلياً فحسب بل إنه يصطبغ بصبغة – عاطفية قوية) (١)

فهل ينتظر بعد هذه العنصرية الشديدة من كونهم وحدهم المتمدينون ، وغيرهم برابرة ، وهل بعد احتقارهم للغير يمكن أن يوجد لقاء أو تقارب بين المسلمين وهؤلاء الصليبيين ؟ إن ذلك بعيد جداً ، وصعب المنال (لأن هذا الاحتقار لم يكن سلبيا ، بل كان إيجابياً إذ نري أوربا تربي أولادها على محاربة الغير وخاصة المسلمين ، ففي القرون الوسطي كان الاقطاع وكانت الفروسية ، وكان للفروسية قوانين عشرة يجب على الفارس إتباعها ، والقانون السادس منها ينص على أن يحارب غير المسيحيين بغير مهادنة ولا هوادة ، ومعظم المواقع الشهيرة التى ذكرت فى كتاب – أغاني البطولة – كانت في محاربة المسلمين ، وقد أضاف الأوربي إلى رصيد العداوة أمرا آخر وهو التغني بحرب المسلمين ، فيشب الطفل فيسمع أنباء البطولة من بني جنسة وضد من ؟ ضد المسلمين ، فلم يعد موقف الأوربي من المسلمين موقف كرة من غير مبالاة – بل كرة يتبعه

---

١ – الإسلام على مفترق الطرق : مرجع سابق ص (٥٢ ، ٥٣) بتصرف يسير .